

طبيعة التشكيل السيميائي في بيان شعرية العنوان وتعزيز سلطة المرأة -رواية
عتبة الباب لِسندس برهوم أنموذجًا-

**The nature of semiotic formation in the poetic statement of
the title and the promotion of women's authority –The door
threshold novel by Sondos Barhoum as a model-**

¹ فلة شوط

¹ جامعة الجزائر 02، الجزائر

fella.chott@univ-alger2.dz

تاريخ الاستلام: 2023/02/22 تاريخ القبول: 2023/03/ 08 تاريخ النشر: 2023/03/09

ملخص:

لِكُلِّ رواية إطلالة واحتمال وقفة، ولكلِّ وقفة إمكانية تجعلها عتبة،
ولكلِّ عتبة أولى عنوان تتمركز ضمنه أحداث الرواية، وتتعدد غاياتها وأهدافها.
وهذا ما حفّزني للبحث في سيميائية العنوان ومضامينه العميقة، باعتباره يافطة
رمزية دالة تعكس مكامن الدراسات السيميائية الحديثة والمعاصرة، التي أولت
العنوان اهتماما وإقبالا كبيرا في المنظومة النقدية العربية.

ف"عتبة الباب" رواية عربية تجزئ آهات الروح السورية، وتلبس
الأنثى البريئة أوجاعها وحسراتها وعبراتها، مأذونا لها اقتحام قلوب المتلقين قبل
ولوح مسامعهم. فهي استهلال رمزي للهرب والهجرة والوطن، وكأنتها نوع من
الاغتراب النفسي والوجداني والاجتماعي. وإذا تعمقت في شخصية المرأة وقدرتها
على التغيير من خلال تأثيرها على الآخر، لوجدت أنّ سلطتها طاغية ومرغوب فيها،
وما اقتضته حاجة الروائية ورؤيتها الثقافية المتمثلة في التنسيق بين العنوان
ومعطوي الذاكرة.

كلمات مفتاحية: سيميائية العنوان، سلطة المرأة، الشعرية، التشكيل السيميائي، عتبة الباب.

Abstract:

Every novel has a view and the possibility of a pause, and every pause has the potential to make it a threshold, and every first threshold has an address within which the events of the novel are centered, and its goals and objectives are multiple. This is what motivated us to research the semiotics of the title and its deep implications. As a symbolic and indicative banner that reflects the sources of modern and contemporary semiotic studies, which have given the title great interest and demand in the Arab monetary system.

The “Door’s Threshold” is an Arabic novel that fragments the groans of the Syrian soul. The innocent female is clothed with her pains, heartbreaks, and experiences, and she is authorized to break into the hearts of the recipients before entering their ears. And if we delve peeper into the woman’s personality and her ability to change through her influence on the other. It is symbolic initiation of flight, emigration, and homeland, as if it were a kind of psychological, emotional, and social alienation. We would find that her authority is tyrannical and desirable, and what was required by the need of the novelist and her cultural vision represented in the coordination between the title and the damaged memory.

Keywords: Title semiotics, Woman’s power, Noodles, Semiotic formation, Door Threshold.

المؤلف المرسل: فلة شوط

1. مقدمة:

يعتمد العمل الأدبيّ الإبداعيّ عددًا مركّزًا من المكملات الأسلوبية واللغوية والفنية، وكذا جملة لا متناهية من التوجهات الثقافية والايديولوجية والسياسية التي تعكس التعرجات الفكرية الواعية والمناحي التقنية المقصودة للمبدع روائيًا كان أم قاصًّا أم شاعرًا.. ولكي أخوض عوالم التجربة الإبداعية الحقّة في العمل الأدبيّ، تلزمني آليات محدّدة أحصل على إثرها مسعى كلّ مبدع على حدّة. ولهذا رأيت في بادئ الأمر الأخذ برواية "عتبة الباب" كنموذج هادف، يحمل في جعبته رسائل مشقّرة بوّده أنّ تلقى إقبالاً لدى المتلقّي أينما حلّ.

وفي هذا الصّدّد، حاولت استجلاء جملة من الأغراض الفنية والرمزية والثقافية التي أيقنت ضرورتها جرّاء تطبيقي هذا التشكيل السيميائي لبيان شعرية العنوان المتمثّل في "عتبة الباب"، ومنه التأكيد على أهمّيته في تعزيز وفرض سلطة المرأة في كلّ مجتمع عربيًّا كان أم سوريا. وهذه الإطلالة المتنوّعة، مفادها تعداد مقصدية العنوان وشعريته سيميائيًّا، رفقة الدلالات المنتجة التي أسهمت المرأة السّورية في اكتنازها والتأسيس لها. لذا فيما تكمن طبيعة هذا التشكيل السيميائي؟ وما هي تجليات هذا الاغتراب الروحاني الذي مكّن سندس برهوم من البحث في سرّ "عتبة الباب" ومخلّفات العبثية المبثوثة في وجدان المرأة السّورية؟ وهل بإمكان مفهوم الآخر-المتمثّل في المرأة-أنّ يجعل من رحم المعاناة عتبة جديدة لامرأة مغايرة؟ أل هذه العتبة صورة نموذجية تعكس الاستحواذ الذي تمارسه الحرب السّورية على المرأة الأملة؟

2. التّحديد الاصطلاحي للعنوان:

أولت الدّراسات السيميائية الحديثة والمعاصرة الأهميّة البالغة لعبة العنوان، لما له من دور فعّال في إبراز الواجهة الثقافية للمؤلّف والقارئ معا، باعتبارهما مكملان لبعضهما البعض. فالعنوان تمثيل لأنظمة دلالية سيميائية،

فلة شوط

تحتوي قيمة فكرية وإنسانية وأخلاقية وإيديولوجية. وهذه العلامات السيميائية هي سمة منتجة لوظائف معينة، منها وظيفتي الإغراء والاحتواء لمداول النص الذي يحدد العنوان هويته ويختزل مضمونه.

لقد عرف العنوان على أنه " إشارة سيميائية تأسيسية، قد يدفعك إلى أن تعيد قراءة شيء كان مألوفاً لديك بل هو جزء من ثقافتك، ولكنه يغريك بإعادة قراءته لأنه يفجر فيك طاقات جديدة، وكأنه مع العنوان يبدأ فعل القراءة، ومن ثم فعل التأويل " (قطوس، 2001).

أجد العديد من القراء يعتمدون تفكيك العنوان كقراءة أولية تبوح لهم بالكثير، كما أنه وصف شامل لثنايا المتن أو استشراف لما هو آت، فكل محاولة تسعى للفصل بين هذا العنوان والنص الإبداعي هي في مرحلة أولى محاولة فاشلة، فبمجرد فصلهما عن بعضهما يفقد حملته الدلالية لأن " العمل والعنوان متكافئين تكافؤاً سيميوطيقياً إلى الحد الذي يجعل الاهتمام بواحد منهما دون الآخر إهداراً ليس لما أهمل فحسب، إنما لما تمّ الاهتمام به كذلك " (الجزار، 1998).

يأخذ العنوان في المدونات الإبداعية والمتخصصة كذلك حضوراً كبيراً، لأن وجوده وصف للعمل الروائي ووجهة نصية مصغرة ينضوي تحتها، حيث " يعدّ نظاماً سيميائياً ذا أبعاد دلالية وأخرى رمزية تغري الباحث بتتبع دلالاته ومحاولة فك شفراته الزامزة " (الجزار، 1998، صفحة 15)، الحاملة للكثافة الفكرية والثقافية واللغوية التي يتميز بها الكاتب في خطابه الأدبي. فميزة العنوان سامية، تفرض نفسها بمجرد أن يقع نظر القارئ عليها، حيث يحدث نوع من الإسقاط الوجداني يجعل هذا العنوان أكثر تميزاً دون الآخر، وفق شروط يقتضيها العمل الأدبي، وتقرّبها الخصائص الفنية والتعبيرية التي ينير بها الأديب نصوصه.

طبيعة التشكيل السيميائي في بيان شعرية العنوان وتعزيز سلطة المرأة -رواية عتبة الباب
لسندس برهوم أنموذجاً-

إنّ اختيار العنوان المناسب لأيّ نصّ كان، يلزم الدقّة ويتطلّب توجّي الحذر، لما يفيض به من غنى مكثّف في الدلالة والمحتوى وتناسق العبارات وتلاحمها قصد إحداث التأثير الجلل في روح القارئ، ودفعه إلى تأسيس لحظة ميلاد خاصة به يتجاوز بها المبدع في أقصى تجلّياته. يتوجّب على الكاتب بالدّرجة الأوبى التّوفيق في التّسليم بالعنوان الأمثل الذي قد يحمل متعة وفُرجة من نوع خاص قبل أنّ تصل المتلقّي وتتجاوزه إلى أغوار النصّ. وما من منهج سليم في مقارنة العنوان والوقوف على حيثياته من المنهج السيميائي، الذي يُتيح للطّرف الآخر الإقبال عليه بوعي وفطنة وسلاسة تسهّل عملية القراءة وتضمن مواصلتها، وتحفظ حقّ الكاتب في إنتاج نصّه والتّلاعب بعناوينه المناوئة بين الإغراء والقصدية، وخير دليل على أهمية هذه العنونة وضرورتها، الشّجاعة الأدبيّة التي عزّجت لها "سندس برهوم" في روايتها "عتبة الباب"، والتي أسعى لتعريفها من كلّ مدلولاتها الاجتماعيّة والتّاريخيّة والثّقافيّة، لأنّ الباب في حدّ ذاته عتبة مفتوحة تتطلّب وقفة، وخاصة إنّ كان لعتبة الباب عتبة.

ترى سندس برهوم في تواجدها الإنسانيّ مسعى يرقبه المواطن العربيّ، ويملّ به الطّفل الصّغير في هتافاته وصرخاته، وعليه أدرك أنّ هذه المغريات السّرديّة والفنيّة للعنوان، تمنحه شعرية مغايرة، وتجعله مفخّخا بالمدلولات الرّمزيّة والثّقافيّة، قاصدا التأثير في مستقبلها وإيضاح الرّسالة المقصود بلوغها بشكل مراوغ ومثير للتّدليل السيميائيّ.

1.2 طبيعة الدّراسة الشّكليّة في رواية "عتبة الباب":

لكلّ رواية نهاية معيّنة تقتضيها حتميّة الأحداث، وأحيانا تكون هذه النّهاية هي الحدث العالق بذهن الرّوائي، والذي يملّي عليه عنوانا محدّدا دون سواه، لكنّ الأمر مختلف مع رواية عتبة الباب. فقراءتي وتحليلي وتماثل الصّراع الدّاخلي لهذه الكتلة الأدبيّة الرّمزيّة المشبّعة بالألم والحسرة والمآسي وقسوة الاغتراب، عكس

فلة شوط

جملة متفاوتة من العوامل التي يمكن أن تكون السبب الرئيسي في كتابة سندس برهوم لهذا المتن الروائي الشائك بوفرة أحداثه ودينامية شخصياته.

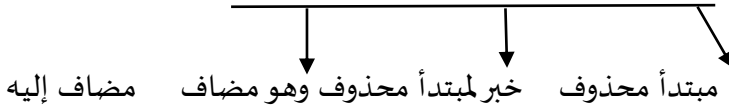
عتبة الباب شحنة دلالية مفرطة، تُحيي الضمير العربي لما تعيشه سوريا وتحصد أهات حروبه البراءة المنسية، ولربما هذا ما دفع الكاتبة إلى استقصاء العنوان بهذه الروح الغاضبة، التي تبين أن لكل عنوان عروسا ترفاً إليه في أبهى حالاته، وخاصة إن كان لهذا الباب عتبة تتطلب من زائرها التفكير أكثر من مرة قبل عبورها والاستئناس بالّلحظة.

تسلّحت الرواية بفضاء شعري شاسع، ما ساعد في بلورة العنوان على هذه الشاكلة السيمائية، وطرح العديد من التساؤلات التي يمكن أن تتبادر إلى ذهن القارئ في بادئ الأمر، بعيدا عن سياقاته الايديولوجية والفكرية والسياسية والاجتماعية والثقافية وحتى القومية العربية. نتعزّأ أحيانا بعناوين مضبوطة قد تصف أصحابها، وما يبرز حمل الإنسان لاسم معين يجسّد صفاته وطبائعه وعثراته، وهكذا الحال مع عتبة الباب التي تحمل أسراراً ورموزاً كثيرة... لعلّها لامرأة مظلومة ومقهورة، ولها سلطة على مجتمعها وكيفية بنائه، باعتبارها الأم والأخت والبنات والعمّة والجدة...

باشرت في بادئ الأمر من العنوان، كونه ملفت للانتباه، وهذا قبل الإمام بحديثاته الدلالية، حيث رأيت فيه بعثاً لثقافة معيّنة تقتضيها شريحة هائلة من المجتمعات والبلدان معا. لذا حاولت الجمع بين مختلف تفاصيله السيمائية، وتعداد الأفكار والمقترحات التي يمكن لها أن تصطدم بتصورات القارئ قبل ولوجه هذا الخطاب الروائي الملغم بالاحتميات والشّفرات اللّانهائية.

لستندس برهوم أنموذجًا-

هذه عتبة الباب



العنوان هادف وقاصد للمعاني الجوهرية ومسّح بالحمولة الرّمزيّة، يحمل في جعبته مجموعة من الأسرار المغمّة.

← الحذف المقصود:

- يثير نوعاً من العلانقيّة المتشابكة في إبرازه الخبر علامة نموذجية.
- يولّد الإلهام بالعودة لتاريخ البشرية واقتناص الحوادث المختلفة التي يمكن لها أن تتطابق معه وتستنطقه.

← عتبة الباب تمثيل مباشر يختصر عدّة أفكار وثقافات مرجعية تحوم بفكر القارئ.

- كلّ الوقائع المجسّدة لعتبة الباب، تحمل عدّة دلالات وأفكار مخزّنة باللاوعي الذي يعمل الوعي الفكري والدّلالي على استدراجه علانيّة.
- عتبة الباب اختلاس لما هو آت لا محالة، لا يمكن للمتلقّي أن يغضّ الطّرف عمّا تعني له هذه العتبة وتشهده في ذاكرة الإنسان الثقافيّة.
- عتبة: (الدّال) وقفة تحقّق وحدة الباب كعتبة تستوقف الهارب الباحث عن الطّمأنينة، وتضمن له بقاء مضادّاً في زمن أصبحت فيه الولادة متجدّدة.
- الباب: (المدلول): أنواعه: باب السّماء، باب الحياة وفيه باب الرّزق وباب السّعادة وباب الأمل وباب الحبّ. للباب أسرار معلومة ومجهولة لا يدركها سوى أصحاب البيت.

فلة شوط

مهما تغيّرت هندسة البيوت المعماريّة، تبقى العتبة عتبة والباب باب، ويلزم أنّ تتحدّد صيغتهما الدلاليّة في ثقافة الفرد الواحد، ضمن علاقة الدالّ بالمدلول والتحامهما مع بعض.

يتبيّن لي ممّا سبق، أنّ للعنوان مفارقات سيميائيّة عديدة تستلزمها حاجة الرواية والروائيّ معاً، حيث ينفتح في بادئ الأمر على مجموعة من الإيحاءات اللامتناهية التي تسعى بدورها إلى توليد شعرية خاصة، يمكن لها أن توازي شعرية النصّ الأوّل، الذي أنتجه مبدعه. عتبة الباب استهلال ثقافيّ للحمة شعريّة، تحمل في طياتها كنزاً سرديّاً ثميناً، يمكن فهمه من خلال العودة لبرائن الوعي الثقافيّ والتراث الحضاريّ.

يأخذ مدلول هذا العنوان أبعاداً استثنائيّة لأنّ له علاقة بأصل الإنسان، ويحيله دوماً إلى مسقط رأسه ومكانه الأوّل. لا إنسان دون مأوى يأوي إليه في دهايز الليل، وإنّ كان كوخاً معتبراً له عتبة تصفه وتحدّده.

يوجد في الثقافة العربيّة عادات تحتكم لعبة الباب، وتحاول تفسير هذه الاحتمالات وفقاً للمدلول السيميائيّ والاجتماعيّ والتاريخيّ لدى الشّعوب. ومن أمثلة هذا الاستعمال، ما يلي:

- لا يصحّ عبور السكّن الجديد لأوّل مرّة دون اعتماد البسملة والدعاء، وتقديم الرّجل اليمنى على اليسرى، كنوع من التّبشير بالخير. وهذا ما كان يفعله المصريّون في سعيهم لتغيير العتبة قصد التّخلص من سوء الحظّ والتّعاسة.
- يحرمّ في بعض الأماكن على العروس أنّ تطأً بقدميها على العتبة، ومنه كانت تدخل البيت محمولة تفادياً للّبس. باعتبار الوقوف على العتبة توجّس ونذير شؤم.
- تقتضي العادة في تونس نزع الحذاء للعروس لحظة بلوغها العتبة، ووضع رجلها اليمنى في دلو ماء بارد، ربّما لتكون برداً وسلاماً على أهل المنزل.

طبيعة التشكيل السيميائي في بيان شعرية العنوان وتعزيز سلطة المرأة -رواية عتبة الباب
لستندس برهوم أنموذجًا-

- تُفرش "الهيدورة" بمعنى صوف الخروف على عتبة الباب كي تتجاوزها العروس بسلام، وتهنأ في حياتها، وهذا معتقد متداول في المناطق المحتكمة للعادات والتقاليد بكثرة، من بينها الجزائر.

للباب ميزات وصفات خاصة منذ القدم، كونه الوريث المادي والحضاري والفني والثقافي والرمزي للحضارة الإسلامية، فهو وجه يحكي قصص ساكنيه وثقافتهم وأفكارهم) كاصد(2012). وللحياة أبواب، وللإنسان أبواب، وللمدن أبواب، وللكتب أبواب، وللباب أبواب تجسده أبواب الطبيعة بقدر تفرعها وتنوعها. كلّ بلد نزوره في حدّ ذاته بابا مفتوحا على عدّة بيوت مغلقة. وهذا ما يجعل الباب يتّسم بثنائية الانفتاح والانغلاق، والدليل هو (باب رمانة) بالمغرب، الذي عرف إقبالا وحفاوة تاريخية كبيرة.

تعكس هذه الرّمزية لعبة الباب القيمة العليا التي تتميز بها العتبة في حدّ ذاتها كمفهوم إنسانيّ يثير في الذاكرة الثقافية مواقف وعبر عميقة. فقد أخبرنا الله في القرآن الكريم عن بعض تفاصيل هذه القصة، كما في سورة إبراهيم، والمتمثلة في قصة سيدنا إبراهيم الذي أتى لزيارة منزل ابنه إسماعيل ووجد زوجته ولم تكن تعرفه، حيث سألها عن عيشهم وطعامهم وكان ردّها أنّهم يعيشون في ضيق وشدة، الأمر الذي جعله يترك رسالة لابنه أنّ غيّر عتبة بابك. وقد تركزت نفس الحادثة مع زوجته الثانية بعدما طلق الأولى، غير أنّ جواب الثانية كان مقنعا عكس الأولى، وكانت الوصية لإسماعيل عليه السّلام أنّ ثبّت عتبة بابك. وهذا دليل على أنّ العتبة كناية عن المرأة وصلاحيها في المجتمع والأسرة.

2.2 سيميائية عتبة الباب ودورها في تعزيز سلطة المرأة:

قد اعتمدت دراسة سطحية لعنوان الرواية "عتبة الباب"، وحاولت الوقوف عند مجمل المعاني والدلالات الثقافية، وعليه أقصد تقديم عرض سيميائي يناصر أحداث الرواية وملابساتها، بمعنى دراسة العنوان في ظل إبراز الدور والمهية التي تشغلها المرأة وسلطانها في بناء المجتمع العربي.

عتبة الباب هي تساؤل وطرح ثقافي للعقل، رواية مكناة عن الألم والجنون والحب والهروب، كما لو أنها ملاذ نفسية في هيئة إنسان ملائكي. وهي نوع من الحماية النفسية لكنّ بوعي ثقافي ناضج، يقرب الصورة الناقصة في ذهن الطفل الجريح، حيث يعالج صدماته العنيفة ويصنع له الأمّ النموذجية والمناضلة لأجل صغارها، والمساهمة بسلطة أمومتها في بناء عتبة باب جديدة تأويهم في سلام وهدوء وراحة بال.

خلقت سندس برهوم شكلا سرديًا مميزًا، يصف الوضع الاجتماعي الذي تعيشه سوريا وكلّ العالم من حروب ونزاعات دامية وقاتلة، ربّما كان الانشطار الوجداني العميق هو ما جعل "عتبة الباب" احتفاءً للأسرة والمحيط معا، أي أنها أقرب لمونولوج طويل يخاطب العقل الباطني للإنسان ويسأله رافة بهذا الضعيف والمتخفف المهموم فكريًا، وهذا هو حال الروائية التي ترى أنّ "العتبة هي المكان الذي يفرضه كلّ من العقل والحبّ، فيقول الإنسان أنا في قمة الحبّ، لن أمسك السلاح ولن أهاجر وأقف على العتبة كي أقول إنني أحبّ كلّ الناس وأحبّ المكان الذي ولدت فيه، لكنّ الذي يبقى يعيش صعوبات الدنيا كلّها، وهو واقف في مكانه، ولا عتب على أيّ شخص مهما كان قراره في هذه الظروف ولكنّ أنّ لا يؤدي الآخرين" (عتيق، 2016).

العتبة مثلما ذكرت آنفاً، أنّها كناية عن المرأة، وهذا ما تبدّى لي أثناء تشريحي لثنايا أحداث الرواية، فكلّ شيء بدأته امرأة بسيطة في مجتمعها، تسعى

طبيعة التشكيل السيميائي في بيان شعرية العنوان وتعزيز سلطة المرأة -رواية عتبة الباب
لسندس برهوم أنموذجاً-

لتغيّر الواقع المأساوي، للأفراد، وإنّ صحّ التعبير تُجاهد نفسها لإيجاد الحلّ الأمثل أمام معطوي الذّاكرة وبيان جراحيهم ومعالجتها بمرهمها السّحريّ، وكلّ هذه الأغراض الدّلاليّة أبرزها التشكيل السيميائيّ وسطرّ معالمها.

يظهر جليّاً أنّ سندس برهوم لا تكتب من فراغ، إذ عذمت على إحداث القطيعة التّمودجيّة لشعرية عنوان رمزيّة ودالة، وعليه أستدرك أنّ للأنثى مشاغلها وهمومها وتساؤلاتها التي تدفعها قدما باعتبارها الأمّ والزّوجة والابنة والأخت والصّديقة.. التي تكتب بقلم أنثوي صارخ يستنجد بالحلول المنطقيّة لأحداث مجتمع مصيريّة. يمكن أنّ يكون للعنوان شعرية خاصة، تتولّد عن واقعه اليوميّ الذي يحياه المواطن العربيّ، وتؤسّس له الحالة الشّعوريّة المجسّدة في الشّعور بالاغتراب داخل الوطن وفي أعماق النّفس البشريّة.

منح بدر شاكر السّياب رمزية الباب مكانة في شعره، حيث وظّف هذه المفردة توظيفا رمزيّاً مصرّحاً بالتّحوّل الدّلاليّ والمعنى الفعليّ الذي تحمله. كما يذهب محمود درويش لتوظيف مفردة الباب توظيفا رمزيّاً أيضاً، يمكنه من العودة إلى التّأمّل الذي ساد بلده يوماً، وكانت فيه الأبواب مشرّعة على مصراعها ترجّب بالمقبلين والزّائرين، وهذا هو حال العرب المضيفين.

أهدف من خلال التّحليل السيميائيّ لهذا العنوان التّأكيد على الدّلالة التي يؤصّل لها مفهوم الباب، باعتباره الوطن الحيّ المتفائل بغد أفضل، وكأنّه مثال حتميّ على بقاء استثنائيّ، تقرّ به الأديان والمعتقدات والأخلاق والثّقافات، ولربّما هذا هو حال الشّعب السّوريّ الذي تعرّف به سندس برهوم. فالهموم والضّغوط النّفسيّة المتراكمة في الرّوح، هي من تجعل لسان الفرد يبعث وينوح، لأنّ الفجائع والعواقب وخيمة، يحصد نتائجها المواطن المثقّف والحامل لمشاكل وطنه.

اتّسمت رواية عتبة الباب بسلطة نوعية في اقتناء شخصياتها وأحداثها المتواترة بين الجمود والتّغيير. ولهذا أمعنت النّظر في شخصية المرأة وسلطانها

فلة شوط

وصوتها الطّاعي في المتن الرّوائي، والتّغيير الّذي يمكن أنّ تحدّثه بين مختلف أفراد المجتمع.

الشّخصية هي " الحاملة للحدث والمنفعلة به، وتقيم لنفسها شبكة من العلاقات، تبدأ من التّناظر مع الزّمان والمكان، وتأخذ من اللّغة والمعطى الأيديولوجي هويتها، وتنتهي بصراعها مع الرّاي وسرديته، ضيقا واتّساعا، حضورا وغيابا، والأهمّ قدرتها على طرح نفسها أمام القارئ " (أملودة، 2010). إنّ التّفاعل النّاجم عن القارئ هو الّذي أحدث نظاما من الدّلائل المتّصلة فيما بينها، وجعل القطيعة الخارجيّة للرّواية تضمحل، وهذا هو الأساس الّذي يمكن عتبة الباب من ضمان شعريّة مماثلة لما جاء في الخطاب السّردّي.

تكمّن قيمة الأدب الحقيقيّ في كيفية إنتاجه واقع الأديب وحياته الّتي عاشها وتعلّم على إثرها، ممّا أكسبه خبرة في الحياة، وعليه تأتي شخصيته مفعمة بالأمل أو الألم حسب ما علّمه الزّمن، وشهدت عليه الأمكنة الّتي حاكها يوما. إنّ علاقة الشّخصية بالرّواية جعلتها تصوّر " تجربة إنسانيّة تعكس موقف كاتبها إزاء واقعه بنفس القدر الّذي تفصح عنه، عن مدى فهمه لجماليات الشّكل الرّوائي، والرّواية تقول هذا وأكثر من خلال أداة فنيّة هي (الشّخصية) وهذا ما جعلهم يعرفونها بقواهم إنّها فنّ الشّخصية " (وادي، 1980).

تحدّد ماهية الشّخصيات في الدّور الّذي تؤدّيه سياسيا كان أو فكريّا أو اجتماعيّا، حيث " جرى الاعتراف بالرّوائي على أساس مقدّراته في رسم الشّخوص، فالرّوائي الجيّد هو الّذي يستطيع أنّ يبتكر، ويبدع في رواياته، شخصيات جيّدة " (ابراهيم، 2001).

تنتهج سندس برهوم نفس الأسلوب في خلق شخصيات فاعلة، تساند عماد المتن الرّوائي، وتدفع عجلة السّرد إلى الأمام بغية إيصال الرّسالة إلى الضّمير العربي، الّذي بوّده أن يصلح أنفس البشر ويزيل كلّ ضغينة مدفونة، إذ الحياة

طبيعة التشكيل السيميائي في بيان شعرية العنوان وتعزيز سلطة المرأة -رواية عتبة الباب
لستندس برهوم أنموذجًا-

تتكوّن من أبواب ملموسة حقيقية وأخرى رمزيّة ينبغي أن تشرع، خاصة " عتبة الباب" التي تشير لها الروائيّة في أغلبية الصّفحات، حيث أسقطت شخصية " لور" على مجمل الأحداث وجعلتها المحور الأساسي الذي تنبني عليه سلطتها كأمراة آملة في تغيير ما آل إليه وطنها.

إنّ الكتابة عن المرأة نشاط دينامي هادف، وإن قارنته بالكتابة في عتبة الباب، أجدها تتسم " بطابعي التّنوع والتّعدد الذين يوقعان المرء في كثير من الأحيان في حيز التّناقض " (وأخرون، 2006). وهذا ما يشير إليه عنوان الرواية الذي يدلّ على ازدواجية الطّرفين، حيث يوجد من يبقى ويصارع في بلده الحرب السّوريّة والدّمار الشّامل الذي لحق بالطّفولة البريّة. ما يبرز حيوية هذا الباب الذي لا يوصد من كثرة توافد الزّوار، أي أنّه رمز وظيفي للذهاب والإياب، والفضول الخارجيّ والتّطلع الدّاخليّ، الحماية والعقاب والرّقابة، الأمل واليأس. كما أنّه رمز للبلد الذي يحتفي بأبنائه ويستقبلهم وينير لهم درب الهداية من الظّلام. أمّا الطّرف الآخر، فيفضّل الهجرة والهرب، بحثا عن الأمان والعيش بطمأنينة وسلام، ما يشكّل وحدة الباب المنغلق على أحلام شعب يرغب بالخروج والتّحرّر من قيود السّيطة، ممّا يعني أنّها وقفة استذكارية مشحونة بأشلاء نازفة. تمثّل شخصية "لور" الزّوجة والأمّ الخائفة على أسرتها الصّغيرة وابنتها وابنتها، إذ يستشعران الخوف ويرتقبان الهلاك والخطر في كلّ ثانية، والفراغ الذي يراود "لور" في معدتها باستمرار دليل على التّئانة والنّفس الدّليّة التي يعاني منها المجتمع السّوري. تعبّر السّاردة عن حسراتها بقولها: " آه ما أشهى الأتّين.. أنّ أطلق الآن جرعة ألم أو خوف، أنّ أحول التّعب والإنهاك والسّخافة التي أعيشها إلى صوت أخرجه بلطف وراحة عبر فمي، ومن يعرف؟ قد يساعد أنيني على إخراج الفراغ أيضا. ربّما الفراغ نفسه ليس إلّا احتباس تعب وخوف

يحتاج إلى من يطلقه... أردت أن أتحرّر من أفكاري وأنشغل بشيء جديد، أن أناور الفراغ لعلّه يغفل عن تعذيبي بضع دقائق " (برهوم، 2015).

أستدرك من خلال هذا الفراغ الوجداني أن " المرأة في صورتها الذهنية الراسخة كائنات اندماجيا، وليست كائنات مستقلا، إننا وسط الآخرين وفيهم ومنهم وبهم، هي بنت فلان وزوج فلان وأمّ فلان " (الغذامي، 2006)، حيث تنشغل سندس برهوم بكلّ صغيرة وكبيرة في هذا البلد، وتحاول أن تقف عند مشكلات شعبه والخوف الذي يعتريهم ليلا نهارا من جرّاء قبيلة تسقط على ديارهم سهوا وهم في سكرات النّوم يغبطون، فتحرمهم من أحلامهم السّاذجة حتّى وهم نيام.

تذهب شخصية "لور" إلى تصوير معاناتها ونقلها إلى العلن قبل انفجار الحرب السوريّة وبعدها، " فالفقر الذي عاشته هي وأسرته والذي منعها من إكمال دراساتها العليا بعد تفوّقها في الجامعة، السّنوات السّبع التي أضاعتها وهي تطرق أبواب القطاع الحكوميّ لتحصل في النهاية على وظيفة درجة خامسة في شؤون العاملين في مديرية الزراعة، الرشى والمحسوبية والفساد في كلّ مفصل من مفاصل الدّولة " (برهوم، 2015، صفحة 56).

هذه العوامل هي التي دفعت بالمجتمع في كلّ مراحلها إلى الانحطاط والرّذيلة والتّراجع، نظرا للمستوى الذي آل إليه الفرد، كلّ شخص يبحث عن مصلحته ورزقه في مصلحة ورزق أخيه وصديقه. هذه حقيقة مريرة ومرعبة، تهدّد روح وتضامن المجتمع العربي. كما يمكن اعتبار الحرب السوريّة تشكيلة خاصة تنبئ عن فقدان الأمل والشّعور باغتراب الهوية الوطنية التي من شأنها الإغلاء من قيمة المواطن المناضل، الذي بوّده حياة ملؤها السّعادة وراحة البال، لكنّ الواقع غير التّمني وأصوات المدافع والرّصاصات أشبه بتقلّصات الولادة التي تعاني منها "لور" وتتمتّى زوالها.

طبيعة التشكيل السيميائي في بيان شعرية العنوان وتعزيز سلطة المرأة -رواية عتبة الباب
لسندس برهوم أنموذجًا-

يتبين ممّا سبق، أنّ للأنثى وجودها الفعليّ منذ بدء البشرية مع أمنا حواء، يعني أنّ مفهوم المرأة ودورها المطلق في سائر المجتمعات مكّنها من الإبداع في مختلف المجالات، الأمر الذي مهّد لبروز الكتابة الأنثوية في الأدب، وعليه " استطاعت الرواية السّورية في السّنوات القليلة الماضية أن تغطي الأبعاد الجماليّة والاجتماعيّة للمرأة، صورتها أمّا كادحة وأختا صابرة، وبنّات متوثّبة للحياة، وزوجة راهبة للزّوج والأبناء بعد أن انصرفت عن الرّومانسيّة الأولى" (الديمقراطية ت، 2017).

كلّ هذه الأغراض القيّميّة للمرأة أوصلتها لمرحلة حاسمة ودقيقة من الوعي والفطنة والثّقة بالنّفس، ما جعلها امرأة يقظة تعتمر السّخرية والمواقف الطّريفة تسلية وترفيها عن الأنفس، وهذه حقيقة تشيد بها "عتبة الباب". إذ أشارت السّاردة في قولها: " أنّ انعدام تساقط الثّلوج في إفريقيا سببه أنّ الأفارقة لا يمتلكون الثّياب الصّوفية الّتي تقيهم برده، وأنّ جفاف نهر بردى في الصّيف كان بسبب تراجع القدرة الشّرائيّة عند الطّلاب وعدم تمكّهم من تناول المثلّجات " (برهوم، 2015، صفحة 57).

المرأة إنارة البيت وعموده السّاطع، فهي باعثة الأمل فيه والمحثّة على حيويته وفتوره، وشخصية "لور" هي المورد المنبّي لعملية السّرد في "عتبة الباب"، حيث أنّها جسّدت ستارا شفافا ملؤه الحبّ والفرح والسّعادة والحزن والألم والخيبة، لكنّ لزوال هذه العوارض بدّ ونهاية لا مفرّ منها، لأنّ صورة المرأة في تطوّر وتحول مستمرّ. أصبحت " تتقدّم الخطاب الرّوائي بصوتها العالي، وحضورها البيّ، غدت صورة المثقّفة الواعية، بعيدة عن التّهميش، تملك حرية التّعبير، حرية المشاركة، حرية التّنقل، حرية الممارسات الجسديّة " (الديمقراطية ت، 2017).

3. خاتمة:

أخلص في الأخير إلى أنّ دراسة رواية عتبة الباب ومحاولة بيان القيمة الثقافية لمضامينها ضرورة سيميائية، أبانت عن مثال المرأة النموذجية والقويّة، المتمثلة في الصّبر والحنان والمودة والدّفء الأسري الذي تشيد به سندس برهوم في عباراتها الدّالة.

4. قائمة المصادر والمراجع:

dfgf. (fgf). gdf. fdg: dfg.

ابراهيم، د. (2001). *بنية النص الروائي*. (Vol. 01) الجزائر: منشورات الاختلاف.

الجزار، م. ف. (1998). *العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي*. (Vol. ط 1) مصر: الهيئة المصرية للكتاب.

الديمقراطية، ت. س. (2017). *صورة المرأة في الرواية السورية*. ج. الفداء، (Éd.) Récupéré sur cswdsy.org.

الديمقراطية، ت. س. (2017). *صورة المرأة في الرواية السورية*. (h. ^vd\$, (Éd.) Récupéré sur cswdsy.org.

الغلامي، ع. أ. (2006). *المرأة واللغة*. (Vol. ط 3) المغرب: المركز الثقافي العربي. أملودة، م. م. (2010). *تمثيلات المثقف في السرد العربي الحديث* (الرواية الليبية أنموذجاً دراسة في النقد الثقافي). (Vol. 1) الأردن: عالم الكتب الحديث. برهوم، س. (2015). *عتبة الباب*. (Vol. د. ط 1) بيروت: نوفل هاشيت أنطوان.

عتيق، ر. (2016). *بين البقاء والرحيل*. "عتبة الباب". Récupéré sur <https://www.aljounhouria.com.news>.

قطوس، ب. (2001). *سيمياء العنوان*. (Vol. ط 1) الأردن: وزارة الثقافة. كاصد، س. (2012). *الأبواب تقرأ شعراً*. أ. أ. الاتحاد (Éd.) Récupéré sur <https://www.alittihad>.

وآخرون، ض. أ. (2006). *عبد الله الغلامي والممارسة النقدية والثقافية*. (Vol. 1) المغرب: المؤسسة العربية للدراسات والنشر العربية.

وادي، ط. (1980). *المرأة في الرواية المعاصرة*. (2, Vol. 03) القاهرة: دار المعارف.